العربية لغة المستقبل

أ.د. ظهور أحمد أظهر

نعم! إن لغتنا العربية هي لغة المستقبل! قُدّرلها البقاء والخلود! وذلك ليس ادعاء فارغا يقوم على حسن الظن أو مجرد الوهم، وإنما هي دعوى ثابتة تقوم على أساس من الأدلة الواضحة القوية والحقائق الواقعية الناصعة! فالعربية لها ماض حافل مجيد يبشر بالمستقبل الزاهر، ولها قوة مناصرة صامدة تساندها وتهيئها وتضمن لها الخلود والبقاء كما أن لها مزايا ومحاسن تؤهلها وتهيئها لأداء الرسالة والقيام بالواجب وتمكنها من التقدم والنهوض، وكل ذلك يوحي ويبشر بمستقبلها الزاهر المجيد مثل ماضيها الحافل المجيد!

ورحم الله العلامة محمد إقبال الذي تحدث في شعره عن كتاب الله الذي نزله بلسان عربي مبين، فقال إنه كتاب سماوي فريد لا نظير له ولا مثال، وهو ملئ بالحكمة الخالدة التي لن تزول، فقد كانت وستكون كذلك، إذ هي أُوحِيَتْ إلى أول نبي بعثه الله ثم استمرت تنتقل من نبي لآخر عبر العصور، وقد خُصَّ بها نوح ثم إبراهيم ثم موسي وعيسى عليهم السلام إلى أن أوتي سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم هذه الحكمة الدائمة الخالدة التى ليس لها زوال وإنما حظيت هذه الحكمة الدائمة الخالدة التي يضمها القرآن الكريم بالدوام والخلود وبالصيانة والبقاء! إنه كتاب علمٍ ومعرفةٍ قد ضم معارف الأولين وعلوم الآخرين وهو أول كتاب مدون عرفته اللغة العربية، وهو كتاب فريد قد غير المجتمع البشري تغييراً شاملا، وأحدث ثورة جامعة

ليس في الجزيرة العربية فحسب بل العالم كله، فقد جمع شمل العرب فجعل منهم أمة موحدة قاهرة وقد كانوا قبائل شتى يتيهون في البوادي والصحاري فأصبحوا أمةرائدة في العلوم والمعارف والآداب، فقد جمعوها وأوعوها، وتقدموا بها ونشروها بين شعوب العالم في مشارق الأرض ومغاربها، وقد تركوا تراثا أدبيا وحضاريا من ذخائر العلوم والآداب وروائع الحضارة والثقافة مما يفتخر به اليوم الأجيال البشرية على تنوعها واختلافها! وهذا الذي قاله إقبال عن دور القرآن الكريم هو أيضا صحيح في لغته العربية التي كانت وعاء لكتاب الله عزوجل، ولعلومه وآدابه ومعارفه بالإضافة إلى مئات العلوم التى نشأت فتقدمت فازدهرت في الأمة الإسلامية على اختلاف أقاليمها وبلادها عبر العصور تحت التأثير المباشر للقرآن الكريم، وذلك فضل قد انفردت به اللغة العربية بين لغات العالم كلها!!

ومن ثمرات التقدم العلمي والحضاري ونتائجه هو التقريب بين الشعوب والدول والبلاد وتذليل الصعوبات السفرية وتقليص المسافات البعيدة فإن دنيانا هذه قد تقلصت واقتصرت حتي أصبحت قرية أرضية كما يقال، وذلك بما تيسر للإنسان المعاصر من وسائل النقل والإعلام السريعة المتنوعة المدهشة ويبدو كأن سير الوقت وتغيراته الحادثة قد تعجلت وتسارعت مما جعل الإنسان المتحضر المعاصر يرى نفسه في حاجة إلى كل شئ سهل خفيف يناسب ظروفه العاجلة السريعة، واللغة بطبيعة الحال، هي من أهم وأشد ما يحتاج إليه الإنسان الناطق، الذي هو بحكم علمه وخبرته، محور الموكب الحضاري ومركزه، ومن ثم يجب عليه أن يختار له لغة تناسبه وتتصف بالخفة والسهولة، وتمتاز في نفس الوقت بالإيجاز والإطناب حسب الضرورات التي من شأنها أن تعترض الإنسان المعاصر فى مستقبله، وفعلاً قد

بدأ يفكر الإنسان فى البحث عن لغة تفي بغرضه وتناسب ظروفه السريعة العاجلة!

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ماهي اللغة التي تستحق أن يختارها الإنسان فى مستقبله، والتي يمكن لها أن تساير موكب الحياة البشرية السريعة العاجلة فوق كوكبتنا الأرضية هذه وفي هذا الكون الواسع الذي لا يعرف حدوده ولا يعلم جنوده إلا الله سبحانه وتعالى؟، ولا شك أن هذه هى لحظة حاسمة وفرصة نادرة أن نفكر في لغتنا العربية الجميلة، وأن نبرز ما تتصف به من الخصائص اللغوية المفيدة، وما تمتاز به من المزايا الفريدة لكي نلفت أنظار الإنسان الباحث عن هذه الخصائص والمزايا اللغوية التي قد خصت بها لغة القرآن، لكى تحتل مكانتها المرموقة ولا تفوتها الفرصة المواتية النادرة هذه!

وقد رأيت الناس يتساءلون فيقولون: وهل للعربية من مستقبل؟ وهل بقي لها من دور في الحياة المستقبلية للإنسان المتقدم المعاصر؟ وخاصة بعد عاصفة الصحراء، التي أسفرت عن تغلب الاستعمار العالمي الجديد وعن الكرة الجديدة من سيطرة اللغة الإنجليزية على عقول المتخلفين الحائرين المندهشين في عالمنا العربي الإسلامي! بل سمعت البعض منهم يقولون متغامزين: وهل بقي دور للعرب وأمة الإسلام في سياسة المستقبل؟ وعلى وجه أخص بعد نكسات متتالية وضربات متلاحقة ، قد كالها ولا يزال يكيلها الاستعمار الغاشم وعملاؤه الانتهازيون للعرب والمسلمين, بدءاً من حرب يونيوسنة ١٩٦٧ م ثم تمزيق باكستان في ١٩٧١م ثم حرب الخليج بين إيران والعراق إلى حرب عاصفة الصحراء التي أولدت الاستعمار العالمي الجديد ومكنته من السيطرة الكاملة على نفط الشرق الأوسط، ومهدت

الطريق لهيمنة الكيان الصهيوني العميل وأوجدت له مجالا فسيحا ليكيل الضربات للشعب الفلسطيني الأعزل البرئ! فهذه وأمثالها تساؤلات مغرضة يتداولونها فيما بينهم فيبحثون عن الإجابة عليها كما يشاءون"وللناس فيما يعشقون مذاهب".

ولا نريد الإجابة على ما قيل عن دور العرب وأمة الإسلام فله مجال آخر، ونكتفي في ذلك بقول الشاعر العربى الحماسي الذي يقول:

تعزَّ فإن الصبر بالحر أجمل وليس على ريب الزمان معوَّل!

ولاشك أن العلم الصحيح بالمستقبل أو القادم من الأيام إنما هو عندالله عزوجل، فهو وحده علام بالغيوب وهو عليم بذات الصدور، وأما الإنسان فهو لا يقدر على شئ من ذلك، ومن ثم لا كهانة ولا تَنَبُّأ في الإسلام! ولكن الله عزوجل قد وهب الإنسان عقلا وبصرا وبصيرة وحدسا، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأحداث القادمة، بحكم السنن الكونية الإلهية قد جعل الله لها إرهاصات أو ظلال الأحداث القادمة، كما يقول المثل الإنجليزي، وهي تقوم على الشواهد الملموسة والدلائل الواضحة الصحيحة، والإنسان بمواهبه الفطرية يستطيع من خلالها أن يستنبط ويستنتج ويقدر المستقبل قياسا على الماضي والحال، فإذا كان الأمر كذلك فإن الشواهد والدلائل تشير إلى أن للعرب مستقبلا ولأمة الإسلام دورا! وذلك لأن:

١- المؤسسات الإنسانية العالمية، كالأمم المتحدة، تمشي طوعا أوكرهاً على سنن العدل والمساواة التي جاء بها وطبقها سيدنا محمد المصطفى صلي الله عليه وسلم.

٢- أعداء الإسلام لايزالون يظلمون المسلمين اليوم في كل مكان، والضمير الإنساني العالمي المثقف قد أخذ يتطلع إلىمعرفة ما يحدث، ويريد أن يعرف الأسباب كما أن المسلم المضطهد أيضا قد أخذ يصحو ويريد أن يعرف لماذا يعاقب، فإنه سيعود إلى دين الله الذي نادى، ولايزال ينادى بالعدل والمساواة بين البشر دون تفرقة وتمييز.

٣- وفي اليوم الذي يتبين الضمير الإنساني العالمي ويصحو المسلم المضطهد المظلوم من غفلته عن الواجب سيكون يوما يقوم الإسلام فيه بدوره وتنهض العرب وأمة الإسلام بواجبها!!

وأما عن مصير لغتنا العربية الجملية، لغة القرآن الكريم ولغة المعارف والآداب الجمة، ولغة الوحدة الإسلامية، ومستقبلها أو دورها في الإيام المستقبلية، فحدث عنها ولا حرج!، فإذا رأينا من منظور تاريخي، ورأينا في مرآة الحاضر إلى المستقبل يتضح لنا ويتأكد بأنها لغة عظيمة فريدة، وأنه إذا كان قد تبقى شئ من عمر هذه المعمورة، وإذا كان الله قد قدر في لوح مقاديره شيئا من مستقبل الإنسان المعاصر فإن العربية ستكون هى لغة المستقبل، وسيكون لها دور في بناء الحضارة الإنسانية التي يمكن أن تسمي المدنية الفاضلة علي ألسنة الفلاسفة والمفكرين في القديم والحديث!

فالعربية كما هو المعلوم، والمعترف به، هي لغة من بين اللغات السامية، ويرى المستشرقون (ومعظمهم من اليهود)، بأنها أحدثها(رغم

ادعائهم بأنها هي وحدها أقرب إلي أصلها السامي أو لغة سام بن نوح، كما يزعمون بأن العرب وحدهم قد احتفظوا بما و رثوه من الخصائص الثقافية من جدهم سام بن نوح، وذلك بحكم عزلتهم عن العالم البشرى منذ مئات السنين!! ولا ندرى إلى أين وإلى من يرجع هذا التناقض فى القول؟ إذ نراهم يدعون بأن العرب البدو قد احتفظوا بالخصائص السامية إلا أن لغتهم، رغم كونها أقرب إلى أصلها السامي ، هي أحدث اللغات السامية؟! ياله من جهل وعناد!!) ولكن العربية، بفضل قرآنها وإسلامها، قد بلغت القمة من التقدم والازدهار، وحققت مالم تستطع أية لغة أخرى أن تحققه في مجال العلم والأدب والثقافة والحضارة، وهى لاتزال ولن تزال كذلك بإذن الله وبركة قرآنه العظيم:

أفلت شموس الأولين وشمسنا أبدا على أفق العلا لن تغربا!!

وقد صنعت اللغة العربية تاريخا حافلا مجيدا، وبإمكانها أن تصنع تاريخا جديدابدورها البناء في المستقبل كذلك، وأن تأتى بالمعجزات الأدبية والثقافية والحضارية كما جاءت بها بالأمس القريب والبعيد، وقد تكون أكثر وأكبر مما جاءت به في الماضي، وذلك لأن:

١- العربية لغة ذات الإعراب، ولا توجد لغة ذات إعراب فى العالم البشرى، والإعراب له دور في الضبط والإتقان، كما أنه يدل على الصراحة والنزاهة فى ظاهر المتكلم وباطنه! ولا يدل على إخفاء شئ أو نفاق! فكل شئ من الفعل والفاعل والمفعول، أو المرفوع والمنصوب والمجرور واضح تمام الوضوح، وإلى ذلك أشار الرسول العربى صلى الله عليه وسلم حين قال بان الفرق بيننا وبين

اصحاب اللغات الأخرى إنما هو الإعراب، أوكما قال صلى الله عليه وسلم!

وفى نفس الوقت هي لغة ذات الخط العربي القرآني!! ذلك الخط الذي لايمكن أن يضاهيه خط آخر في الضبط والإتقان والصحة والجمال في نفس الوقت! لأن الخط العربي القرآني، الذي دُوِّنَ به أول كتاب عربي، ألا وهو كتاب الله عزوجل، قد تطور هذا الخط بمشيئة الله وقدرته المطلقة وحكمته البالغة المدبرة تطورا هائلا، ومن ميزاته أنه يملك نو عين من حروف العلة أو المصوتات(إذ لايمكن النطق بالحروف الصحيحة إلا بهذه المصوتات أي حروف العلة في كل لغة من لغات العالم) أي طويلها وقصيرها، فحروف العلة الطوال بالعربية ثلاثة، وهى: واي، وأما حروف العلة القصيرة فنعنى بها الحركات من الضمة والفتحة والكسرة، وهي التي تكتب فوق الحروف الصحيحة في الخط العربي القرآني، وقد سمىالقدماء من علمائنا هذه الحركات بأبعاض المصوتات، ولو بقيت حروف العلة ثلاثة فقط ولم تضَف إليها هذه الأبعاض أو الحركات لظل الخط العربي فقيرا، إلا أن إيجاد الحركات أو الأبعاض من المصوتات قد أغنى العربية، وخطوط اللغات البشرية كلها، ما عدا العربية، عاطلة عارية من زينة هذه الأبعاض أو الحركات أو حروف العلة القصيرة، ولذا يجد أهل تلك اللغات صعوبات لانهاية لها، ولا يمكن أن يتصورها الإنسان العربى المسلم المطلع على الخط العربي القرآنى، إلا أن العربية قد أغناها الله بحروف العلة ببركة القرآن الكريم، فإذا كتبت العربية بالخط

العربي القرآني أي وضعت على الحروف الصحيحة حركات أو شكّلتها تشكيلا كاملا لأصبح من السهل اليسير قراءتها وحتى على المبتدئين جميعا كما نرى قراءة القرآن الكريم قراءة سهلة ميسرة بسبب هذه الحركات أو الأبعاض من المصوتات وحروف العلة القصيرة!

إنَّ هذا الخط العربي القرآني السهل الميسر من معجزات القرآن الكريم، فإنك ترى المسلمين من غير العرب الذين لا يعرفون العربية ولا يفهمون الكتاب العزيز إطلاقاً، ولكنهم مع ذلك كله يجيدونه، حفظا وقراءة، إجادة تامةً، وحتى أنك تجد فيهم عدداً هائلاً من المقرئين المجودين، ولا يوجد كتاب غير القرآن كما لا يوجد خط غير الخط القرآني العربي يمكن أن يقرأه إنسان قراءة صحيحة سليمة بل حلوة جذابة دون أن يفهم شيئا مما يقرأه من الكتاب!

ورحم الله إقبال الذي مدح القرآن الكريم ودعا المسلمين إليه وذكّرهم بما أنعم الله عليهم فقال ما معناه: أيها المسلم: أنت لا تعرف سر قوتك ورمز سيادتك على العالم! إنك لم تعلم ما أفاض الله عليك من لؤ لؤة فريدة، ألاوهو القرآن!

إن ابتكار الحركات من قبل النحاة وقراء القرآن الكريم في تاريخ اللغة العربية كانت خطوة حكيمة سليمة مباركة قد أضافت إليها جمالا وكمالا خطيا من الدقة والضبط والإتقان، وتلك هي ميزة بارزة انفردت بها العربية، فإذا أراد إنسان المستقبل أن يكون

دقيقا متقنا مضبوطا فيما يكتب أو يؤلف فلابد له أن يختار العربية بخطها العربي القرآني!

وبهذه المناسبة أحكي لكم قصة لها صلة بالموضوع وأنا شاهد عيان لها وفيها عبر وزواجر، فقد احتفلت كليتي كنت عميدا لها، وهي الكلية الشرقية لجامعة بنجاب بلاهور(والدكتور عبدالولي الشميري من خريجيها) قد احتفلت هذه الكلية بعيدها المئوي سنة ١٩٧١م وحضره عدد من علماء الشرق والغرب، وكان من بينهم مستشرق ألماني شاب، وكان قد اعتنق الإسلام حديثا بعد دراسته الشاملة المقنعة للدين القيم فقدم له أحد زملائنا كتابا مطبوعا بالمناسبة، وكان الكتاب عبارة عن معجم فارسي صغير، وأرادمحققه أن يكون دقيقا في عمله التحقيقي فكتب كل كلمة من كلمات المعجم بخط لا طيني بين القوسين، فسأله ذلك المستشرق الألماني المسلم عن السبب فأخبره بأنه أراد الدقة والضبط والاتقان والسهولة للقارئ فتبسم الأخ الألماني المسلم فقال له: قد أتعبت نفسك يا أخي دون جدوى! من قال لك أن الخط اللاطيني أو الروماني يفيد ذلك؟ فقد بدأنا نحن أصحاب اللغات الأوربية المعاصرة نتضايق بل نتبرمَّ من هذا الخط الذي لا ينفع كثيرا في الدقة والضبط إذ ينقصه حروف العلة المطلوبة! أفلا تعرف، وأنت مسلم، بأن الخط العربي القرآني هو الوحيد الذي يفيد الدقة والضبط والإتقان بالإضافة الى السهولة واليسر والإيجاز!!

٢- الإعجام أو استخدام النقط للحروف الهجائية العربية أيضا قد كانت خطوة مهمة كما أن استخدام رؤوس الحروف أو أنصافها بأشكال متنوعة (كشكل الباء في البداية وفي الوسط والنهاية مثلا) قد كانت خطوة لا تقل أهمية من الأولى التي صانت القارئ من الوقوع في الخطأ عند تميز الحروف المعجمة والمهملة(مثل الجيم والحاء والخاء مثلا) وأما الخطوة الثانية إلى استخدام الأشكال المختلفة لحرف واحد فقد أكسبت الوقت وتوفرالجهد وذلك من ضرورات الإنسان المعاصر في مستقبله!

٣- والعربية هي لغة الإطناب والإطالة إذا أراد الإنسان أن يُطْنِبَ في الكلام ويطيل حديثه، لأن العربية هي لغة تملك ثروة عظيمة من المفردات ويبدوكأن المفردات لآلي قد تكاثرت وانتثرت فتفرقت وانتشرت في بحر يسمى لغة عربية حتى أن بعض المستشرقين قد حاول أن يحصى كلمات اللغات السامية فتمكن من احصاء المفردات لجميع اللغات السامية سوى العربية! ورغم أن المعجميين العرب، جزاهم الله خيرا، قد ألفوا الموسوعات من المفردات العربية التي وردت في كلام العرب، شعره ونثره، مثل فعل تبدَّي يتبدَّى أي طلع وظهر من البدو، وقد أخلت به المعاجم، وقد جاء تبدى أي صار من أهل البادية أو البدو، يقول عمرو بن معدي كرب:

"بدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى"

وقد أعلن منذ نزوله بأنه لن يكون في حاجة إلى قلم وقرطاس وكاتب"بلْ هوآيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم !" وقد ضمن الله حفظه وصيانته وتجدون اليوم الملايين من حفظة القرآن في الأمة الإسلامية وكانوا وسيكونون في كل زمان ومكان وذلك أمر الله وكان أمرالله مفعولا!!

تشتهر الكتب ويقبل الناس عليها إذا جاءت أو كتبت بلغة متقدمة راقية مثل الشاعر المسرحي الإنجليزي(شيكسبير) الذى ألف بلغته الإنجليزية وأما إذا كتب أو ألف بلغة متخلفة مخمولة مثل قصة (هِيْر) الشعبية البنجابية للشيخ الشريف(وارث شاه) فقد كان من المستحيل أن يخرج من عقر داره ولكن القرآن الكريم هو أول كتاب دون بالعربية التي كانت عبارة عن شتى اللهجات ودون في أمة لم تعرف الكتابة قبله بل كانوا قبائل متفرقة متناحرة فوحَّد بينهم وجعل منهم أمة قاهرة أتت على إمبراطوريتين كبيرتين خلال ربع قرن من الزمان ووحَّد بين اللهجات المتباينة فكون منها لغة موحدة جمعت بين علوم الأولين والآخرين وقد ضمن لها عزة قعساء وبقاء طويلا وحياة خالدة، فالكتاب الذي هذا شأنه كيف يمكن أن يستغنى عنه إنسان المستقبل مهما تقدم وتثقف؟! إنه كتاب "يهدي للتي هي أقوم" فأني للإنسان المتحضر المثقف أن ينحرف عن الصراط الأقوم وهو يبحث عما يصون به نفسه ويصون به حضارته من الدمار والبوار، والقرآن يضمن الصيانة له ولحضارته التي لا ينقصها إلا العدل والتقوى بين هذا الخضم من العداوة والبغضاء والفوارق العنصرية وعواصف النهب والسلب التي تعاني منها البشرية في الشرق والغرب دون استثناء! والإنسان المعاصر قلق مضطرب

وهذه الكثرة الكاثرة من المفردات ميزة من ميزات اللغة العربية التي هي لغة الفصحاء والبلغاء من العرب الذين يطيلون الخطب إذا اقتضى الوضع والحال!

٤- وقد امتازت العربية بالإيجاز والاختصار بل الاختزال والاقتضاب، فمن أمثلة الإيجاز ما رواه النظامي الكاتب الفارسي في كتابه"المقالات الأربع" بأن رجلا من العصاة البغاة في خراسان قام ضد العباسيين وكان اسمه" ماكان " فأعياهم أمره وذهب عدد من القواد والجيوش ضحية لسيفه وأخيرا اختار الخليفة العباسي قائدا من خيرة قواده ليقضي عليه قضاء حاسما ونهائيا ويبشر الخليفة بأسرع طرق البريد وانتصر الجيش العباسي فأراد قائده أن يسارع في إعلامه الخليفة فعثر على شاب من الكتاب البلغاء فكتب له رسالة أرسلت إلى بغداد بحمامة البريد وهي تعتبر أوجز الرسائل في تاريخ الكتابة العربية فيما يراه النظامي وهي تشتمل على ثلاث كلمات وبضعة حروف بعد البسملة ونصها:

(أما "ماكان" فصار كاسمه!)

٥- وأكبر سند وضمان على كون العربية لغة المستقبل هو وجود الكتاب العزيز الخالد الذي سماه منزله البارئ تعالى بالقرآن أي الكتاب الذي سيقرأ وفعلا هو كتاب أكثر قراءةً بين كل الكتب بما فيه الصحف المقدسة وغيرها من الكتب وهو عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد أعجز البلغاء عبر العصور

لثلاثة أسباب أو أشياء فأولها وعلى رأسها حياة العز والكرامة والثاني هي الحرية والتخلص من العبودية و الثالث هي لقمة العيش أو حياة الأمن والراحة والطمانينة والقرآن الكريم يضمن له هذه الثلاثة حين يقول الله عزوجل:" ولقد كرمنا بني آدم"ويقول:"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"، ويقول القرآن الكريم بأن الواجب لكل فرد من أفراد البشرية نحو بني جنسه وإخوانه من بني آدم إنما هو تزويدهم بما يحتاجون إليه من لقمة العيش وما إليها ثم الدفاع والذود عن حريته وكرامته، فيقول الله عزوجل الذي أعطى الإنسان صورة وجمالا وعقلا وجوارح لكي يقوم بواجبه الذي قد فرض الله عليه:" ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة" فالضمان لحرية الإنسان ولقمة العيش عندالله هو عمل شاق وعقبة كبيرة وقد كلف بذلك كل إنسان نحو أخيه الإنسان! وكان من واجب كل فرد أن يدافع عن حرية أخيه ولا أن يستعبده، وكان من واجبه أن يهدي لقمته لأخيه الإنسان وليس أن ينهبه ويخطف ما في يده موجود!

إن القرآن الكريم هو الذي أعطى الإنسان حقوقا وقد طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الخلفاء الراشدين حين لم يكن أحد يعرف حقوق الإنسان ما هي؟ فضلا من أن يعترف بها أو يطبقها أحد ! فقد أعطى القرآن حق الحياة لكل إنسان دون أي تفرقة و تمييز حين قال: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق "، وأعطى حرية الدين والعقيدة حين أعلن بأنه"لا إكراه في الدين"، وقد أمر الكتاب العزيز باكتساب الرزق وجعله من فضل الله عزوجل وذلك اعتراف بحق الملك كما أعلن بالمساواة بين البشر وبين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وقد نهي عن التفرقة

العنصرية واستعباد الإنسان الحر فقال بأن أكرم الناس عند الله إنما هو أتقاهم في تأدية الحقوق، أي حقوق الله وحقوق العباد فهذه وغيرها هي حقوق أساسية قد أعلن بها القرآن وطبقها محمد صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون ويطالب بها اليوم كل إنسان والمنظمات الدولية من الأمم المتحدة وجمعيات حقوق الإنسان!

ومن أغرب الاشياء وأعجبها هذه الظاهرة الفريدة وهي أن الحقوق والمبادئ القانونية التي أعلن بها وطبقها الإسلام قد بدأ الإنسان اليوم يؤمن بها طوعا أو كرها، ويطالب بها دون أن يعترف بأن القرآن قد جاء بها وطبقها المجتمع الإسلامي الفاضل حين لم يكن أحد يعرفها أو يعترف بها أحد، والقرآن الكريم أولا وآخراً إنما هو كتاب الرشد والهداية ودستور لحياة كريمة يحياها الإنسان ليجمع بذلك بين حسنات الدنيا وحسنات الآخرة، وسوف يكون الإنسان المثقف العادل الواعي في حاجة إلى كل ذلك في المستقبل ويأتي عليه يوم يفكر فيه عن أهل هذه المبادئ ومصدرها الذي زوده بكل هذا التراث من الشرع والقانون والسلوك فيراجع أصولها وجذورها فلا يجدها إلا في القرآن العربي المبين وسيكون ذلك هو يوم القرآن الكريم ويوم لغته العربية ويومئذ ستصبح العربية لغة الإنسان المثقف العادل الواعي!

هذا وقد رأيت جهودا جبارة يبذلها إخواني العرب الأفاضل الأساتذه الجامعيون، وسمعت أصواتهم ترتفع صارخة زاجرة منذرة بالمحافظة على لغة القرآن بمشيئة الله، وسوف يكون لها تأثير وثمرات ونتائج تسر أنصار الفصحى وتكلل جهودهم بالنجاح والانتصار! ولا يفوتني أن أرجو إخواني بل أوصيهم بثلاثة:

١- أولها وعلى رأسها تحفيظ القرآن الكريم لأولادهم فذلك هو عرين العروبة وقلعة الفصحى!

٢- والثاني إلزام الأستاذ المدرس بالفصحى مادام داخل الفصل الدراسي ولا يستخدم العامية في أية حال!

٣- وأن يلتزم الإخوة المثقفون العرب الكرام بالفصحى في مجالسهم الثقافية ومجامعهم الأدبية واجتماعاتهم الرسمية وخطبهم أو كلماتهم الشعبية وأن يحرّموا العامية على أنفسهم ويمتنعوا عنها في هذه الأماكن وبهذه المناسبات كلها، والله من وراء القصد!

(مع الشكر من المثقف العربى القاهرية)